جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرحلـــــــــــــــــــــة الثانيــــــــــــــــــــــة

المادة : تاريخ أوربا في عصر النهضة

العوامل الممهدة لحركة الاصلاح الديني

م . م لقاء منذر قدوري

العوامل الممهدة لحركة الاصلاح الديني :

أولا : الإنسانيون المتمردون: رفض الإنسانيون كل ما يستجد من أنظمة وعادات وتقاليد على المسيحية خلال القرون الوسطى ودعوا إلى الاهتمام بالتراث الكلاسيكي وتطبيق الأصول الحديثة والقواعد الانتقالية على التفسيرات الدينية والنصوص القديمة تزعم الحركة الإنسانية الإصلاحية في إنكلترا جان ويكلف (١٣٢٠-١٣٨٤) الذي تعمق في الدراسات الدينية في جامعة أكسفورد الذي اتخذها فيما بعد منبراً لبث تعاليمه في انحاء انكلترا .

هاجم ويكلف في كتاباته الغزيرة مفاسد رجال الدين وانتهاكاتهم في متاع الحياة فيبيعون بذلك دم المسيح بدنس الأموال، كما أنه انكر إرسال الأموال والثروات إلى روما أو إلى أفينيون في فرنسا عدوة إنكلترا ، مطالباً في نفس الوقت مصادرة أملاك الكنيسة الإنكليزية لمصلحة الحكومة ، بل انه ذهب إلى الدعوة لفصل الكنيسة الإنكليزية عن البابوية، أذ ما أصرت البابوية على طلب الأموال فوقف إلى جانبه الشعب والملك وبعض الأمراء الذين قدموا له حمايته في جميع المحاكمات الدينية التي أقامتها الكنيسة لمحاكمته بتهمة التمرد والهراطقة ، ومما جاء في منشورة الذي كتبه بهذا الصدد" **إن البابا لا يستطيع أن يطلب هذا المال إلا على سبيل الصدقة ولما كان أهل البلاد أولى من غيرهم بهذه الصدقات فإن توجيه صدقات الدولة إلى البلاد الخارجية إذ كانت البلاد نفسها في حاجة إليها يخرج بها عن نطاق الصدقات**"

لقد وجدت آراء ويكلف صداها في بوهيميا أذ تأثر بدعوته جان هس (١٣٧٠-١٤١٥) الذي ندد بمفاسد رجال الدين ونزع عن أوامر البابوية صفة القداسة معتبراً أوامر البابا لاغية في حال تعارضها مع تعاليم السيد المسيح ، فرماه البابا بالحرمان وقضى مجمع كونستانس عام ١٤١٣ بتهمة الهرطقة ، فاعدم حرقاً وهو حي عام ١٤١٥ .

أما في الأراضي المنخفضة فقد تزعم الحركة الإنسانية الإصلاحية فيها اراسم (١٤٦٧-١٥٣٦) التي حاول التوفيق بين الدين والعلم ، فدعا إلى وجوب دراسة اللاهوت على أسس جديدة وسليمة في الاعتماد على الكتاب المقدس وحده دون

الأخذ بحرفية الكلمات بل بما يكمن فيها من روح ومعاني، كما انكر تقديس الايقونات التي لا ينتج عنها سوى زيادة التعلق بالأوهام والخرافات فيقول مخاطبا المسيحي الحقيقي "**إنك تعبد عظام بولص أفلا يجد بك أن تعبد روح بولص التي تحيا في كتاباته ، إنك تعبد تمثالاً للمسيح نقشة أو ربما شوه على حجر أو خشب الأفضل لك أن تعبد صورة روحه الموجودة فقط في نص الإنجيل** " .

وهكذا نجد في تعبيرات ارسم التي نفذت إلى كل مكان صلابة تكاد لا تقل عن صلابة لوثير وحزمه اتجاه الكنيسة ورجال الدين ، ورغم موقفه بقي رجل كنسي رافضا الخروج على الكنيسة ، وظل يؤمن بالإصلاح من الداخل فاتهمه البروتستانت بالجبن وعدم الجرأة واعتبرت روما تعاليمه نوعاً من الهراطقة أدت إلى نشوء البروتستانتية وانقسام العالم المسيحي، فلا حقت هيئات التفتيش اتباعه الذين شكلوا النخبة الروحية والفكرية في أوروبا في كل مكان ومع ذلك استمرت الاراسمية بعد اراسم كتيار خفي يجري في خط متعرج حتى نهاية القرن السادس عشر.

ثانياً : الأسر البابلي

إن حركة الانشقاق البابوي التي حدثت في القرن الرابع عشر هي أخطر ما واجهته الكنيسة الغربية ، أذ مهدت بشكل أو بآخر إلى ازدياد صيحات الإصلاح المعارضة ، وفي اندفاع رجال الدين نحو تحقيق مأربهم الشخصية على حساب مناصبهم الكهونتية ، فقد استطاع ملك فرنسا فيليب الرابع أن يتدخل في اختيار بابا فرنسي وهو كلمنت الخامس(١٣٠٥-١٣١٤) الذي اتخذ من مدينة افينيون مقراً له واستمر باباوات افينيون يرفضون الانتقال إلى روما حتى عام ١٣٧٧ إذا أصبح أمر انقسام الكنيسة لابد منه أمام استغلال ملوك فرنسا للمقر البابوي، في حربهم ضد انكلترا حرب المئة عام أو في أي نزاع معنوي وبينهم وبين ملوك أوروبا .

وبعد ان اختار الكرادلة في عام ١٣٧٨ بابا إيطاليا وهو أوربان السادس ليكون مركزه في روما ، ما لبثوا ازاء تشدد هذا البابا على إصلاح المؤسسة الدينية وعزمه على محاربة فساد رجال الدين وتأكيده على استئصال هذا الفساد بالقوة ، اختارو بابا آخر هو كلمنت السابع(١٣٧٨-١٣٩٤) الذي اتخذ مقره في افينيون من جديد وهكذا أصبح العالم المسيحي منشقاً على نفسه حول شرعية أحد البابويين الذين رمى كل

منهما اتباع الآخر بالجرم الكنسي، فوقف إلى جانب بابا راما انكلترا ومعظم ألمانيا بولندا والمجر و قسما من إيطاليا ، بينما ناصر بابا افينيون كل من فرنسا إسبانيا نابولي صقلية ، مما زاد الانقسام حده ان مركز البابا كان يعد مورداً اقتصادياً هاماً على الدولة التي يقع فيها مما دفع مجمع بيزا الديني أن يخلع الاثنين ويختار بابا ثالثاً وهو إسكندر الخامس ولم تنتهي مشكلة الانشقاق هذه إلا في مجمع كونستانس (١٤١٣-١٤١٧) أذ أعيدت البابوية إلى وحدتها باختيار مارتن الخامس الذي اعترفت به جميع دول أوروبا .

لقد شهدت الكنيسة المسيحية في المرحلة الممتدة بين توحيد التاج البابوي وقيام الحركة اللوثرية وهي المرحلة التي بلغت فيها حضارة عصر النهضة أوجهها في إيطاليا ، بابوات بقدر ما كان البعض منهم تقياً متمسكاً بتطبيق أصول الدين في التقشف والزهد ، كان البعض الآخر يمارس حياة الترف والبذخ والرخاء حتى أصبح من الشائع القول في عهد هؤلاء إن الكنيسة بحاجة إلى الأموال أكثر مما هي بحاجة إلى الإصلاح ، كما أن الضغط الذي مارسه ملوك أوروبا على البابوية بواسطة الكرادلة كان له الأثر الكبير على سقوط هيبة البابوية واقتحامها في ميدان السياسة والحروب الذين كثيراً ما كان يؤديان بخزانة الكرسي الباويوي .

ثالثاً: الأثر القومي :

ساهم نمو الشعور القومي في هذه الفترة في دفع الصراع ضد الكنيسة كمؤسسة عالمية بشكل خاص إلى الأمام ، فقد اتخذ الأمراء أول الأمر سلاح ضد البابا ورجال الدين الذين يعملون على زيادة رقعة أراضيهم التي تتدفق إليها أموال الضرائب وصكوك الغفران أو أموال الاديرة، وغيرها من أنحاء العالم المسيحي .

رابعاً : الطباعة

لقد ساعد اكتشاف الطباعة على انتشار حركة التنوير واطلاع العامة على أفكار المصلحين الدينيين، وعلى نشر ما كان يواجه إلى الكنيسة من نقد لاذع كما يسرت الطباعة أيضا للعامة الاطلاع على الكتاب المقدس وتفسيراته المتعددة وجعلت ملكيته شائعة بين الناس يعودون إلى قراءة نصوصه عندما يكثر الجدل حولها وهكذا

قضت الطباعة على احتكار رجال الدين للتعليم والتربية اللذين طالما بقيا في أحضان الكنيسة حتى هذا الوقت .

خامساً : صكوك الغفران

تعد بدعة صكوك الغفران التي روجها البابوات عن طريق رجال الدين من العوامل التي أثارت استياء جميع المصلحين ، وهي نوع من الضريبة غير المباشرة انطوت على جمهور المؤمنين من العامة لتكون مورداً مالياً، ويعود أصل صكوك الغفران إلى أن السيد المسيح والقديسين قد اكتسبوا قدراً عظيماً من الفضائل بفضل التضحيات والتقوى هذه الفضائل التي ازدادت على مر السنين بالأعمال الخيرة التي قام بها جماعة المؤمنين من المسيحيين تعد من حق البابوات ورثة القديس بطرس الذين يمكنهم استغلالها في التكفير عن المؤمنين الذين كان عليهم قضاء مدة معينة في المطهر قبل دخولهم الجنة وتختلف بحسب ما عليهم ما خطايا ، ولهذا كان على الإنسان الذي ارتكب خطيئة ما وندم على فعلته وتاب عنها ، واعترف بها أمام القسيس أن يكفر عنها بالصلاة والصوم، ثم أستعيض عنها بالحج إلى روما وأخيرا بشراء صكوك الغفران .

ومع أن البابوات قد ندد بهذه الطريقة إلا أنه حاجة بعضهم إلى الأموال جعلتهم يتعهدون ببيعها لبعض المصارف ، كما أن الدعوة اشتدت لبيع هذه الصكوك في عهد البابا جيل الثاني(١٥٠٧-١٥١٣) وخليفته البابا ليو العاشر(١٥١٣-١٥٢١) وذلك بحجة بناء كنيسة القديس بطرس من جديد ، وهكذا أصبح بالإمكان مرتكب الخطيئة شراء "**صك الغفران**" للحصول على المغفرة بدل خطيئة ارتكبها أو من الممكن أن يرتكبها في المستقبل مما يعد تحريضاً على الانغماس في ارتكاب الخطايا طالما أن مرتكبيها قد دفع المال بدلا عنها .